

تجارب إعلامية في تعزيز المصالحة الوطنية وارساء مبادئ التعايش والتسامح

الجزائر-العراق-ليبيا

Media experiences in promoting national reconciliation and establishing the principles of coexistence and tolerance Algeria-Iraq-Libya

أ.د أحمد عبدلي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر

S_ahmedabd@yahoo.fr

تاريخ الاستلام 2025/07/22 تاريخ القبول 2025/11/23

الملخص

عرفت الجزائر والعراق وليبيا تجارب دموية مريرة، وبالرغم من اختلاف الحثيات والأسباب والمظاهر فان النتيجة واحدة والكلفة البشرية والمادية باهظة وقاسية، الآلاف من الضحايا ومليارات الخسائر المادية، حيث احتكمت القوى المناهضة للأنظمة آنذاك الى السلاح والعنف، وبعضها اعتمد على قوى خارجية غاشمة. ولم تكن وسائل الاعلام بمعزل عن المعركة بل كانت رأس الحرب فيها والاداة المثلى التي استخدمت بإسراف ذخيرتها الدعائية القائمة على التزييف والتظليل وصناعة الكراهية والترويج للعنف والتطرف وتبرير الوحشية والهمجية، وساهمت بقدر وافر في تسميم الأجواء وتعفين الأوضاع، وبالرغم هذا الوضع فقد ارتفعت أصوات الحكمة المنادية بإعلام موضوعي ونزيه ينتصر للوطن ويحترم خصوصيات المجتمعات، والتحول الى عامل من عوامل التهذئة وسيادة روح الحوار والعقل، والتضامن والتسامح والالتزام بالمعايير المهنية واخلاقياتها.

الكلمات المفتاحية: الاعلام، الجزائر، العراق، ليبيا، الكراهية، التعايش، التسامح

Abstract

Algeria, Iraq and Libya have known bitter bloody experiences, and despite the different circumstances, causes and manifestations, the result is the same and the human and material cost is heavy and cruel, thousands of victims and billions of material losses, as the anti-regime forces resorted to weapons and violence, and some of them relied on brutal foreign powers, and some of them relied on brutal foreign powers. The media was not isolated from the battle, but was the head of the war in it and the optimal tool that used extravagantly its propaganda ammunition based on falsification, shading, hate-making, promoting violence and extremism, justifying

brutality and barbarism, and contributed a great deal in poisoning the atmosphere and complicating the situation. Despite this situation, voices of wisdom rose calling for an objective and honest media that wins the nation and respects the characteristics of societies and becomes a factor of pacification and the prevailing spirit of dialogue and reason, solidarity and tolerance and commitment to professional standards and ethics.

Keys Words: Media, Algeria, Iraq, Libya, Hate, Coexistence, Tolerance

1-المقدمة

واجهت الجزائر والعراق وليبيا أزمات سياسية وأمنية بالغة الخطورة، أدى بعضها إلى تغييرات جذرية في بنية النظام السياسي وشكل الدولة، التي تكونت وترسخت تقاليدھا وأعرافھا ونظمھا الاجتماعية والثقافية طيلة عقود زمنية، فانتقلت من أحادية النظام والرؤية والتوجه الأيديولوجي، إلى تعددية سياسية ومذهبية، أي بروز القوى الاجتماعية والأصوات المهمشة، التي عبرت عن هويتها في شكل أحزاب سياسية أو جماعات مذهبية أو إثنيات عرقية، وتختلف الارهاصات وطبيعة التجربة وحدودها وطبيعة القوى الفاعلة فيها من دولة إلى أخرى. لقد كان هذا التحول عسيرا ومرا، دفعت الشعوب والحكومات ثمنه دماء ودموعا، وما زاد من تعقيد الأوضاع التدخل الدولي المتخفي تحت غطاء الدفاع عن الحريات والديمقراطية وكرامة الانسان، لنكتشف لاحقا مجازر إنسانية وثقافية واقتصادية وحضارية.

مباشرة عقب اسقاط هذه الأنظمة حلت محلها قوى جديدة عملت على تأسيس قنواتها ومنصاتھا الاعلامية والدعائية، وللأسف فإن الكثير من الإعلاميين محليين أو اقليميين أو دوليين قد انخرطوا في اتون المعركة، فتحولوا إلى ابواق وقنوات صرف الدعاية والتحريف والتظليل والتزييف وزرع الكراهية والفتنة وتعميق الانشقاقات والانقسامات، وتوسعة الشرخ بين كيانات المجتمع.

ومع ارتفاع فاتورة الازمات في شقھا البشري والمادي وتزايد الانزلاقات الأمنية، تعالت الأصوات بضرورة وضع حد لهذه الدوامة العنيفة أو على الأقل التهدئة، وكان الاعلام أول المقصودين بهذه النداءات من أجل خلق بيئة مناسبة للمصالحة الوطنية التعايش السلمي، بين أطراف المجتمع ومكوناته، ذلك أن تبني وسائل الاعلام وانخراطها في مقاربة السلم والمصالحة الوطنية، من شأنه تنقية الأجواء من خطاب التحريض والتثوير والكراهية، ويعيد الممارسة الإعلامية إلى دعم وتعزيز فرص الاستقرار وانهاء الفوضى والاقتتال.

2- إشكالية الدراسة واهدافها.

يطرح انخراط الاعلام في النزاعات والحروب الكثير من الإشكاليات المهنية، ويعيد الحديث من جديد عن حدود الممارسة ومسؤوليات الإعلام وأخلاقيات الممارسة، يتعمق النقاش مع ارتفاع منسوب التوترات الداخلية وحالة الفوضى والنزاعات المسلحة، ويصبح "الحياد الإعلامي" قريبا من الخيانة، حيث يتجاوز رصاص القلم ورصاص البنادق، جنبا إلى جنب في قصف العقول والجبهات.

ونتيجة هذا الانخراط والاصطفاف الحزبي والمذهبي والايديولوجي، تتحول وسائل الاعلام إلى أدوات قصف عنيفة، ذخيرة التظليل والتزييف والتحريف وخطاب الكراهية والترويج للعنف وتبرير الانقسام ومظاهر الاقتتال، والنتيجة توسعة الهوة بين كيانات المجتمع التي تألفت على مدار عقود من الزمن، وتزيد حدة الظاهرة مع دخول الاعلام الدولي على الخط ليزيد من حجم الاستقطاب والشدة، خدمة لمصالحها وجنداته، التي ليست بالضرورة المصلحة الوطنية.

وقد دلت التجارب الإعلامية في الجزائر والعراق وليبيا، وهي الدول التي شهدت احداثا دموية، على خطورة دور الاعلام أثناء النزاعات والحروب، الذي يتفلسف من قيود المسؤولية الاجتماعية وأخلاقيات المهنة لصالح اجندات لوبيات وحزبيات تدافع عن مصالحها، كما دلت التجربة على أهمية دور الاعلام الرشيد والمسؤول الذي يسعى إلى إطفاء نار الفتنة وعدم توسعتها والتهدة وإشاعة قيم الحوار والتسامح والتصالح وقيم التعايش السلمي بين افراد المجتمع.

إن هذا الالتزام المهني والأخلاقي هو الذي نأمل تلمس جوانبه من خلال عرض تجارب إعلامية للدول الثلاث، وكيف لعب الاعلام دورا مهما دعم وتعزيز الحوار الوطني وتهيئة الراي العام لقبول المصالحات الوطنية ومن ثمة المساهمة في حقن الدماء، ولم الشمل وتبني النزعة الوطنية وتغليب المصلحة العليا للوطن.

3- اهداف الدراسة تهدف هذه الدراسة إلى:

- التعريف بأوجه الازمات التي عرفتھا الدول الثلاث: الجزائر العراق، ليبيا، ودور الاعلام فيها.
- التعرف على مختلف المحاولات والمبادرات الرامية إلى أخلقه العمل الإعلامي في هذه الدول ودفعه ليكون أداة مساعدة على إحلال مبادئ التعايش السلمي.

4- مفاهيم الدراسة

أ-التجارب الإعلامية: نقصد بها اجرائيا:

مختلف الممارسات الإعلامية التي صاحبت التوترات والازمات والثورات التي عاشتها الدول العربية الثلاثة: الجزائر والعراق وليبيا حيث كان الاعلام إما فاعلا مهيجا من خلال الانخراط والاصطفاف الفئوي، ونشر خطاب الكراهية والترويج للعنف وصناعة الخوف وتبرير السلوكيات الاجرامية....أو ضحية من ضحايا هذه الازمات، أو عاملا من عوامل الاستقرار وتنوير الرأي العام وتهيئته للمصالحات الوطنية من خلال تبني مواثيق عمل أخلاقية تركز على نبذ التطرف والعنف والكراهية والدعوة إلى التعايش والتسامح وتمتين أواصر وروابط المجتمع التاريخية والثقافية والدينية.

ب-المصالحة الوطنية: نقصد بها اجرائيا:

السياسات التي تبنتها حكومات الدول الثلاث كألية للخروج من المأزق الأمني وحالة الاقتتال الداخلي، إما في شكل منظومة قانونية واضحة تلزم الجميع بمجموعة من القواعد والمعايير، أو جلسات حوار سياسي وطني شامل لكل الفرقاء تكون له مخرجات تسهم في التوافق الوطني والتهدة ووقف نزيف الدم، وتجاوزأثار الأزمة وتهيئة الأجواء لانتقال ديمقراطيقائم على التعايش السلمي والحوار والعدالة والتسامح.

ج-التعايش السلمي

عادة ما تسبق الممارسة الاجتماعية الوعي العلمي والمنهجي بالظاهرة الاجتماعية، فغالبا ما تشهد المفاهيم حراكا تاريخيا ينقلها من حالة التمدد والتمطط، إلى حالة الضبط الدقيق للمعنى بناء على تراكم الخبرة والممارسة، والحاجة إلى تحديد المعاني الدقيقة الموصلة إلى أرضية مشتركة يتقاسم فيها الفاعلون هذه المعاني، بما يفضي إلى توحيد الفهم وتقليل دائرة التأويل الجالب للاختلاف، وهو ما ينطبق على مفهوم "التعايش السلمي"، فهو معروف كممارسة قديمة إما صلحا بعد الحروب، أو معاهدة أو اتفاقيات ما كلها تؤدي إلى معنى واحد، وهو "عدم التعدي والعيش الامن"، ولذا عرفه البعض بأنه: "اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش أي الحياة فيما بينهما وفق قاعدة يحددانها وتمهيد السبل المؤدية إليه". (التويجري ، 1998 ، صفحة 78)، غير أن تطور الاحداث ودخول العالم في حالة نزاعات مسلحة تهدد بفناء الجنس البشري، أدى إلى بروز تعاريف مفاهيم جديدة أكثر تنصيصة على مبدأ "تجنب الصراعات والحروب" وبتراجع خطر الحرب ونهاية الحرب الباردة تغيرت الحاجات والأوضاع في دول العالم وتزايدت درجات التبادل الاقتصادي والديمغرافي والتكنولوجي،

تضمنت التعاريف الجديدة مبادئ أخرى " تبادل المصالح والمنافع " ولذا عرف على أنه: "قيام تعاون بين دول العالم على أساس من التفاهم، وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية(حسين ، 1996 ، صفحة 28) ويقدم ممدوح الروحاني تعريفا أكثر شمولاً وأقرب إجرائية حيث يقول: إن مصطلح التعايش باستخدامه الاجتماعي والسياسي المعاصر محاولة لتوصيف الحالة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي يفترض تعزيزها في المجتمعات لمواجهة حالات التفرقة والصراع والكراهية والتطرف، ولإعادة تقوية أواصر النسيج الاجتماعي وتعزيز القيم الإنسانية والوطنية المطلوبة لتحقيق ذلك.(الروحاني ، 2022 ، صفحة 134)وباستقراء هذه التعاريف وغيرها يمكننا تلمس المؤشرات والابعاد المشكلة لماهيته كالآتي:

-البعد الأيديولوجي الديني العقائدي: وما يرتبط به من تسامح ديني ودعوة بالحسنى، وتجنب التطرف والتمييز والكراهية، والقتل واراقة الدماء والتطهير على أساس ديني.

أ-البعد الثقافي السياسي: وما يحيل إليه من مبادئ متعلقة بتسامح الثقافات للإفادة من بعضها ولقاء الشعوب مما يفضي إلى حراك ديمغرافي امن مثل الهجرات من أجل العمالة والسياسة، والتي غالبا ما يستبقى أصحابها عاداتهم واعرافهم وهوياتهم، فالتعايش السلمي يقتضي احرام الخصوصيات الثقافية.

ب-البعد الاقتصادي التنموي: وهو يشير إلى مبادئ ضرورية من أجل استقطاب الكفاءات والمهارات ورأس المال الاستثماري الذي يتطلب جوا من الاستقرار والتعايش، بما يؤدي إلى الازدهار والرفاهية وتطور العمران

ج-البعد الإعلامي والتواصلي: وهو يشير بنيويا ووظيفيا إلى مبادئ أساسية ناظمة وموجهة للخطاب الإعلامي، في جميع وسائل الاعلام يدفعها إلى تعزيز ثقافة العيش المشترك وغرسها في المجتمعات، وتجنب خطابات الكراهية والتحريض والتظليل والتزييف.

5- وسائل الاعلام والمجتمع: بين المطالب المهنية والالتزامات الأخلاقية: خلفية نظرية

يتزايد حجم النقاش بين الفاعلين المختلفين، الصحفيين ومالكوا المؤسسات الإعلامية والسياسيين والقانونيين، حول أدوار وسائل الاعلام في المجتمع، حدودها وضوابطها ورهاناتها...، والحقيقة أن هذا النقاش قديم قدم الإنسان منذ أن تعرف على خطورة الكلمة وخطورة السرديات

والقصص والأخبار ومدى تأثيرها على الانسان، خصوصا وأن كثيرا منها كان شرارة حروب ضروس، أدى النقاش العام حول وسائل الاعلام وممارساتها إلى بروز أربع نظريات أساسية¹:

-النظرية السلطوية²: وتعني السيطرة المطلقة على وسائل الاعلام في ملكيتها ووسائلها وسياساتها التحريرية، وخضوعها مباشرة للسلطة السياسية الحاكمة، وهي وظيفيا لسان حالها والمعبر عن افكارها والمروج لدعايتها، جغرافيا ساد هذا التوجه في الدول الشمولية مثل الاتحاد السوفيتي سابقا ومن دار في فلكه من الدول.

-نظرية المسؤولية الاجتماعية³: ويرى أصحابها أن لوسائل الاعلام مسؤوليات والتزامات أخلاقية ومعنوية تجاه المجتمع، فلا تتجاوز مصالحه العليا تحت أي ظرف مهني كان، وبذلك تبتعد عن الاثارة ونشر التطرف والأفكار الهدامة والأفكار المنحرفة والعنف والجريمة، وتساعد في تعزيز قيم التمدن والحضارة.... وقد سادت هذه النظرية في أجزاء واسعة من دول العالم الثالث خصوصا تلك التي كانت تحتكم إلى إرث تاريخي وحضاري، تبنت هذه النظرية خمس مبادئ أساسية: المصادقية في تقديم الاخبار، اعتبار الاعلام منبرا للتعبير الاجتماعي، التغطية الاحتوائية غير الاقصائية البعيدة عن الصور النمطية، معالجة المسائل التي تنمي الحياة الديمقراطية، قدرة الجمهور على الوصول والحصول على وسائل الاعلام.

أ-نظرية الحرية أو النظرية الليبرالية⁴: وقد سادت في الغرب عموما تتبنى فكرة الحرية المطلقة في النشر، وأن القاعدة الأساسية هي الربح - فالإعلام استثمار مالي، يستند إلى معايير وقواعد مهنية قائمة على تسويق الاثارة والتشويق، وأحيانا والاختلاق والسعي الدؤوب نحو السبق الصحفي، ولذا كانت القاعدة الأساسية في الخبر الذي يستحق النشر " إذا عض إنسان كلب" وليس العكس فالقيمة إذن لما يثير الغرائز ويشحنها.

ف-نظرية المشاركة الديمقراطية: افرزت التغيرات السياسية والتكنولوجية والثقافية في العقود الأخيرة نظرية جديدة تتبنى مبدأ التشاركية، فالتوجه الليبرالي الطاغى على وسائل الاعلام، خضع في النهاية للوبيات وقوى غير مهنية ، ارتهنت وسائل الاعلام لتوجهاتها وخدمة اجندتها المختلفة، وبالتالي فإن أغلب المعالجات الإعلامية تتقيد بنوعية المصالح التي يخدمها، وغلبة الطابع التجاري والمادي الربحي على ممارساتها، وعمليا لا توجد حرية إعلامية إلا في حدود الاطار المرجعي أو "العقيدة الإعلامية" المحدد لها، ولذلك فإن بعض القضايا مثل "الحريات" و"التعايش السلمي" والموقف من التبادلات

الثقافية" والاعراق"...تعالج في اطار قوالب جاهزة ونمطية تغذي الرأي العام بما يضمن موقفا منسجما مع هذه المصالح، وعلى هذا الأساس يستمر الإعلام الغربي في الترويج للاسلاموفوبيا، للنظرة الدونية لبعض الأعراق، وهي كلها تبرر الفوضى والقتل والاستعمار دون أي اعتراض من وسائل الإعلام التي يفترض أنها تعبير عن الضمير الجمعي، الذي تشرب مبادئ الديمقراطية والحريات والمشاركين الإنساني وحقوق الانسان...

يقدم انصار هذه النظرية مقترحات قائمة على ضرورة إعادة تشكيل وتنظيم المشهد الإعلامي ، يعيد له الحرية من أسر اللوبيات التقليدية - وإعطاء فرصة لفاعلين جدد " الأصوات المهمشة" *Marginalized voices*، لتقديم سردياتهم ووجهات نظرهم حول الاحداث والوقائع من زوايا غير تقليدية، وهكذا فإن النقطة الأساسية في هذه النظرية تكمن في المصالح والاحتياجات الحقيقية والآمال للجمهور الذي يستقبل وسائل الإعلام... ووسائل الاعلام في ظل هذه النظرية سوف تهتم أكثر بالحياة الاجتماعية وتخضع للسيطرة المباشرة من جمهورها، وتقدم فرصا للمشاركة على أسس يحددها الجمهور بدلا من المسيطرين عليها.(قوعيش، 2014، صفحة 78)

د- نظرية ترتيب الأولويات، وضع الاجندة، أو كيف تحدد لنا وسائل الاعلام ما نفكر فيه وكيف نستجيب له؟تقوم هذه النظرية على المبادئ الآتية:

1. وسائل الإعلام لا تستطيع تقديم جميع الموضوعات، وجميع القضايا، وجميع الأحداث، وجميع المشكلات التي تقع في المجتمع.
 2. وبناء عليه يختار القائمون على وسائل الإعلام "بعض" الموضوعات والقضايا، التي يتم التركيز عليها بشدة، والتحكم في طبيعتها ومحتواها.
 3. هذه الموضوعات تبدأ في إثارة اهتمامات الناس تدريجية، وتجعلهم يدركونها ويفكرون فيها، ويقلقون بشأنها، وبالتالي تمثل لدى الجماهير أهمية أكبر نسبيا من الموضوعات الأخرى التي لا تطرحها وسائل الإعلام.
 4. لذلك يقال: "إن وسائل الإعلام لا تنجح دائما في إبلاغ الجماهير كيف يفكرون؟، ولكنها تنجح في إبلاغهم عما يجب أن يفكروا في.
- توظف وسائل الاعلام أجندها بكفاءة عالية بناء على المعطيات الآتية:

أ- طبيعة القضايا: ترتيب الأولويات يحقق نتائج قوية مع القضايا المهمة للجمهور، فالضخ المستمر والتكرار في عرض هذه القضايا في شكل أخبار، تحقيقات، بث مباشر أحاديث صحفية، يجعل منها أولوية لدى المتلقي.

ب- أهمية القضايا: ينجح ترتيب الأولويات مع القضايا التي تسبب التهديد والخوف مثل الحروب والنزاعات، أي التي تشكل تهديدا وجوديا لحياة الانسان وسلامته.

ج- توقيت إثارة القضايا: ترتيب الأولويات ينجح بشكل كبير باختيار التوقيت الدقيق لإثارة القضايا، واستغلال الفرص والظروف المناسبة لذلك.

د- نوع الوسيلة المستخدمة: ترتيب الأولويات في التلفزيونات يحقق نتائج فعالة على المدى القصير، أما في الصحف فهو يحقق تأثيرات أقوى على المدى البعيد، بينما في شبكات التواصل الاجتماعي فيحقق تأثيرا أنيا.

6- وسائل الاعلام ومسألة التعايش السلمي والتسامح

يشكل موضوع "التعايش السلمي" واحدا من المواضيع الجدلية في الممارسات الإعلامية للأسباب الآتية:

- اختلاف أساليب الممارسة وتنوعها بتنوع الوسائط والوسائل والفاعلين، وخلفياتهم الأيديولوجية ومصالحهم المهنية وارتباطاتهم بلوبيات النفوذ وصنع القرار، ويزيد من حدة ذلك دخول فاعلين جدد إلى فضاء الممارسة الإعلامية، مستغلين فتوحات تكنولوجيا الاتصال ليؤسسوا فضاءات نشر فردية، لا تخضع عادة إلى المعايير المهنية التقليدية، فرواد وسائط التواصل الاجتماعي أصبحوا يشكلون كتلة تأثيرية ونفوذ هائلة تغذي بدورها النقاش حول هذا المفهوم في كل الاتجاهات، وغالبا ما تكون سلبية خطيرة، خصوصا الانتشار الأفقي للأفكار لدى الملتقى الذي يفتقد إلى القدرة على التمييز بين الحقيقة والتظليل....

- اختلاف النظرة إلى المفهوم في حد ذاته: بين وسائل الاعلام تحت تأثير ثنائية، المهني المعياري/المؤسسي المصلحي، وبالتالي تعكس طبيعة النقاش داخل الفضاء العمومي وتغذيته، حيث تثار النقاشات وتتكون الآراء والاتجاهات. فالتعايش السلمي في بعض المجتمعات، غير ممكن أو على الأقل مسيح بحدود مانعة ثقافية دينية مذهبية... إذا تعلق الامر بعرقيات وديانات معينة، وعادة ما تستدعى الذاكرة القديمة المشحونة بالوصمية stigmatization والعدا والكرهية والثر... لمواجهة أي تقارب أو تعايش مثل الحالة التركية الارمينية، أو الروسية الأوكرانية،... وتتدخل وسائل الاعلام عادة

لتعبر عن هذا المخزون و المكونات وتؤججها وتعمل على ابقائها حاضرة في الوجدان والمخيال، وبالتالي فإن موضوع التعايش السلمي يخضع إلى مبدأ "ترتيب الأولويات الاعلامية"، ويزداد الأمر تعقيدا بدخول الإعلام الدولي ذي الاجندات الخاصة على خط المواجهة والتأثير ، فيخلق بدوره حقائق جديدة ويوسع من دائرة الاختلاف ، بل ويتعدى إلى التحريض والتحريض وتشجيع العنف والتطرف.

-يستحضر النقاش القديم حول الممارسة الإعلامية في وسائل الاعلام في مثل هذه القضايا الجدلية، وعلاقتها بتوجهات السلطة السياسية والثقافية والقوى الاجتماعية، حيث تتحول وسائل الاعلام إلى معبر عنها خصوصا في حالة النزاعات، والمتأمل مثلا في الاعلام الغربي يمكنه أن يستشف هذا النقاش المباشر والضمني حول مسألة "التعايش السلمي" تحديدا، مع من؟ وكيف؟ وماهي حدوده؟ حيث تلعب الخلفية الأيديولوجية والسياسية المحرك لهذا النقاش والمغذي له، سواء اكان بالسلب أو الايجاب وفي هذا المستوى تعمل وسائل الاعلام على ما يسمى "الغرس الثقافي" أي غرس أفكار اتجاهات وأراء بعينها حول الموضوع.

-يتوسع الجدل وتنشعب جبهاته مع فتوحات تكنولوجيا الاتصال وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي، ودخول لاعبين جدد إلى ساحة الممارسة الإعلامية، صحافة المواطن، الذباب الالكتروني، المؤثرون الاجتماعيون، بل الغريب أن هذه المهنة تتسع لتشمل من لا علاقة له بها ولم يتلقى أي تكوين أو تدريب حولها، كلها تشير إلى قوى جديدة لها تأثير بالغ على الملتقي في تشكيل آرائه وقناعاته، وبات من المؤلف اندلاع حروب كلامية وتهيج وتظليل ونشر للكراهية والفوضى... منتجة بذلك حالة استقطاب الشديد امتد عمليا إلى ساحات النقاش الافتراضية هذه، مولدة شحنات عالية التوتر من الكراهية والتفرقة والشيطنة، مما حول شاشات وصفحات وموجات ومواقع وسائل الاعلام إلى ساحات للمعارك الكلامية، تحرش بشكل مباشر بين الشعوب والدول ، مما أدى إلى تزايد حالات القطيعة وانهيار قيم السلام والمحبة والتسامح التي تشكلت عبر قرون طويلة من التعايش وللأسف هي حال الكثير من الشعوب المسلمة حاليا.

-مع ذلك تشعر الحكومات والدول والمنظمات المهنية والدولية، بالخطر الداهم جراء الممارسات غير المنضبطة والمنفلتة تجاه قضية العايش السلمي، فتغذية الكراهية والاحقاد والترويج للصور النمطية السلبية، وإثارة النعرات المذهبية والطائفية. واستدعاء التاريخ لإثارة الحمية، كلها من الممارسات التي أذت في النهاية إلى الاقتتال والفوضى، وتقويض فرص التعايش ، فتلجأ إلى موثيق وعهود ذاتية الضبط مثل " ميثاق الاعلام الوطني من أجل التعايش في العراق 2017" التركيز على قيمالتسامح

وقبول الآخر، والامتناع عن نشر أية مادة تدعم التطرف أو تشجع على الجريمة أو العنف أو خطاب الكراهية، أو تسهم بالتحريض الديني أو الطائفي أو الإثني أو المناطقي (شدهان ، 2019 ، صفحة 794) [وبالنظر إلى أهمية التعايش السلمي بين الدول والثقافات والديانات، والدور الهام الذي تلعبه وسائل الاعلام فيه، فقد اهتمت به المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة التي وضعت قواعد موجهة للممارسة الاعلامية من أجل التعايش السلمي في شكل " إعلان مبادئ" نصت على:

المادة 3:

1- على وسائل الاعلام أن تقدم اسهاما هاما في دعم السلام والتفاهم الدولي وفي مكافحة العنصرية والفصل العنصري والتحريض على الحرب.

2-... تسهم وسائل الاعلام -عن طريق نشر المعلومات عن مطامح جميع الشعوب وتطلعاتها وثقافتها ومتطلباتها -في إزالة الجهل وعدم فهم الشعوب لبعضها البعض وفي توعية المواطنين في كل بلد باحتياجات البلاد الأخرى وتطلعاتها وفي كفالة الاحترام لثقوث وكرامة جميع الأمم وجميع الشعوب وجميع الافراد دون تفرقة بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الجنسية وفي استرعاء الانتباه إلى الشرور الكبرى التي تكدر الإنسانية...وهي إذ تفعل ذلك تشجع الدول على وضع سياسات الأكثر قدرة على التخفيف من حدة التوترات الدولية وعلى تسوية النزاعات الدولية تسوية سلمية وعادلة⁵.

المادة 4: تسهم وسائل الإعلام بدور أساسي في تربية الشباب بروح السلام والعدالة والحرية والاحترام المتبادل والتفاهم، بغية تعزيز حقوق الإنسان والمساواة في الحقوق بين جميع البشر وجميع الأمم والتقدم الاقتصادي والاجتماعي. ولها أيضا دور هام تؤديه في التعريف بوجهات نظر الجيل الناهض وتطلعاته.

أما ميثاق مكة للمسؤولية الإعلامية، الذي تبنته رابطة العالم الإسلامي في المنتدى الدولي " الاعلام ودوره في تأجيج الكراهية والعنف: مخاطر التظليل والتحيز، فنص على:

- الإيمان بالكرامة الإنسانية، والالتزام بالمثل الأخلاقية المشتركة، وصيانة حقوق الإنسان واحترامه أياً كانت هويته الدينية والوطنية والإثنية أو غيرها ممن يتعين احترام وجودهم وحقوقهم في اختيار توجهاتهم المشروعة، والامتناع عن بث ونشر ما من شأنه المساس بحقوق الآخرين أو انتهاك خصوصياتهم.

-احترام الرموز الدينية والوطنية للأمم والشعوب، والإصرار على أن الإساءة إلى المعتقدات والمقدسات الدينية لا تندرج ضمن حرية التعبير، بل هي استغلال غير أخلاقي لهذه القيمة النبيلة، ولا ينجم عنها سوى المزيد من استفزاز المشاعر وخلق العداوات وتأجيج التوترات.

-ترسيخ ثقافة الاختلاف الواعي، واحترام التنوع الثقافي والاجتماعي، والحفاظ على سلام المجتمعات، ووثام مكوناتها، وترسيخ تعايشها، وتطوير نهضتها، ومراعاة المعايير العلمية والموضوعية والأخلاقية في النقد والحوار⁶.

-من المعلوم أن وسائل الاعلام تلعب دور الوسيط *Médiation* بين الانسان ومحيطه فهي امتداد لحواسنا كما يقول مارشال ماكلوهان⁷: وسائل الاعلام التي يستخدمها المجتمع أو التي يضطر إلى استخدامها ستحدد طبيعة المجتمع وكيف يعالج مشاكله وأي وسيلة جديدة أو امتداد للإنسان تشكل ظروفًا تسيطر على ما يفعله الافراد...وتؤثر على الطريقة التي يفكرون ويعملون وفقا لها(،McLuhan، 1964)"فوسائل الاعلام تسهم بشكل مباشر في بناء التمثلات *Représentations* وهي الاحكام والتصورات، التي تؤدي إلى بناء المعنى والحقيقة في المستويات الثلاث: المعرفي (المعلومات والبيانات ...) الوجداني (الشعوري العاطفي) السلوكي.

7-المشهد الإعلامي في الدول الثلاث أثناء أزماتها.

أولا: التجربة الجزائرية

عاشت الجزائر تجربة دموية أليمة بداية تسعينات القرن الماضي، نتجت عن انحراف التجربة السياسية الجديدة، التي انتقل بموجبها الشعب الجزائري من الأحادية السياسية والايديولوجية إلى التعددية السياسية، وسرعان ما تبنت بعض القوى السياسية العنف كخيار أساسي للاستحواذ على السلطة، وقد كلفت هذه المأساة أكثر من ربع مليون قتيل والالاف المفقودين ومليارات الدولارات خسائر، إضافة إلى الماسي الإنسانية والاجتماعية والتخلف الاقتصادي، وهي الأوصاف التي يختزلها توصيف " العشرية السوداء".

وقد صاحب هذا الانفتاح تعددية إعلامية في مجال الصحافة المكتوبة فقط، مع قانون 1990 الذي سمح لأول مرة بإنشاء الصحف الحرة المستقلة، سارعت كل القوى السياسية الجديدة إلى انشاء عناوينها الصحفية، : التي كانت اللسان الناطق باسمها والمعبر عن مواقفها وافكارها، وتسهم كثيرا في تعبئة الأنصار والراي العام، والمفارقة أن من شكل عمود التجربة الإعلامية الجديدة هم صحفيو

القطاع العام ، حيث انتقل المئات من صحفيي القطاع العام إلى تأسيس عناوين صحفية قوية مثل : الخبر ، El Watan Le Soir d'Algérie غالبها كان يخدم اجندات سياسية وايدولوجية، كما أسست الأحزاب الإسلامية صحفها الخاصة مثل : المنقذ والعقيدة والبيان ، البصائر الصحوة... وغيرها

بلغ عدد الصحف اليومية والأسبوعية في التسعينيات حوالي 60 صحيفة، بين حكومية ومستقلة. أعلى توزيع :حققت "الخبر" و"الوطن" أرقامًا قياسية (بين 50,000 و100,000 نسخة يوميًا) في فترات الذروة، بينما تراجعت صحف النظام إلى أقل من 10,000 نسخة

ومن الملاحظات المهمة أن هذه الخطاب السياسيالإعلامي والدعائي كان متساوقا ومتناغما مع الخطاب الحزبي بل تعداه أحيانا في درجة العنف والتحريض والشحن السياسي، وقد ساهمت هذه الصحف في تهيئة الأجواء النفسية والعقلية لمرحلة العنف والتطرف.

وعمليا ومع بداية الازمة الأمنية في 1992 وظهور الجماعات المسلحة تحول المشهد الإعلامي، على نحو دراماتيكي محزن، فقد كان الصحفيون من الضحايا الأوائل لالة القتل الهمجي والإرهاب الاعمى، كان ضحيته الأولى الصحفي الطاهر جاووت، ثم توالى الاغتيالات ليصل العدد حسب بعض التقديرات الى 70 صحفيا إضافة إلىالمفكرين والأدباء والفنانين.

أنشأت الجماعات الإرهابية المسلحة ألتها الإعلامية والدعائية، لتحقيق غرضين أساسين: نشر الخوف والرعب في أوساط المواطنين وإرباك الأجهزة الأمنية وقوات الجيش، الضخ الكثيف الاستعراضى للقتل والاغتيال، والثاني لاستقطاب مجندين جدد واقناعهم بصوابية الخيار العسكري، معتمدة على التضليل وتزوير الحقائق، واستعمال الشعارات ذات الخلفية الدينية البراقة، والكذب والتلفيق من خلال الصورة والصوت،وتبرير موهمة المتابعين بتحقيق مكاسب ميدانية وأن مسألة السيطرة الشاملة على الدولة والمجتمع مسألة وقت.

ولمواجهة الانفلات الإعلامي خلال هذه الأزمة عمدت الدولة الجزائرية إلى بناء استراتيجية إعلامية محكمة ومضادة، من خلال سن مجموعة من القوانين والإجراءات المنظمة لنشاط وسائل الاعلام ، حيث صدر قرار بين - وزاري صدر بتاريخ 7 جوان 1994 ، حمل توقيع وزارتي الداخلية والاتصال ، ووجه مباشرة لمديري ومسؤولي الصحف الوطنية ، إذ تضمن هذا القرار الأطر العامة التي ينبغي على الصحف أن تقف عندها وألا تتجاوزها ، موجهها أوامر صريحة لمسؤولي الصحافة الوطنية بالتعاطي فقط مع المعلومات الأمنية المرتبطة بنشاطات المجموعات المسلحة التي تصدرها خلية الاتصال

التابعة لوزارة الدفاع الوطني ، وحذر القرار المؤسسات الإعلامية من التعامل مع أية مصادر معلومات أخرى ، حتى وإن كانت مصادر من داخل هيئات نظامية كالجيش والدرك الوطني ...لذا شدد القرار على عدم نشر أية أخبار أو معلومات لم تصدر رسميا من لدن خلية الاتصال، وقد كانت هذه خطوة أولى لمواجهة التظليل والتزييف والتحكم في المعلومة، تجنباً لبلبلة الرأي العام أو التأثير عليه أو ترويعه من خلال تضارب المعلومات.

وبحلول نهاية التسعينات كانت الدولة قد استعادت زمام الأمور وحسمت المعركة عسكرياً ، وحيدت الكثير من الجماعات الاجرامية إما إبادة أو بالحوار، والذي كلل الجهود بميثاق السلم والمصالحة الوطنية، وهو الاجراء الذي تم الاستفتاء عليه شعبيا يوم 29 سبتمبر 2005 وكان يهدف إلى طي الصفحة الأليمة من تاريخ الجزائر، من خلال نبذ العنف والتطرف ، والعودة إلى التماسك والتلاحم والتعايش، وحسب التقرير التقييمي لهذا الاجراء الوطنية إنه خلال 8 " عشر سنوات من تطبيقها لم يسجل أية "تصفية حسابات وكذا انتقامات" بين الأشخاص ضحايا الإرهاب⁹.

انخرطت وسائل الاعلام الجزائرية بجميع اتجاهات في هذا المسعى والتزمت ببند القانون، حيث التزمت ب:

- تهيئة وتشجيع الرأي العام الجزائري لقبول هذا الميثاق، ومساعدته على تجاوز المحنة خصوصا ضحايا الإرهاب، من خلال: دعم سياسة التكفل بملف المفقودين، دعم استتباب الامن، تعزيز التماسك الوطني(حنون، 2008)، أي بناء صورة ذهنية إيجابية عن الميثاق ومبرراته وضروراته.
- الامتناع عن نشر أي خطاب للكراهية والتمييز والنبش في الاحداث الأليمة، وتقع بذلك تحت طائلة المادة 41 التي تعاقب كل " تمييز" يطال أي فئة من فئات الازمة، كما كانت المادة 46 من ذات الامر صريحة حيث: يعاقب بالحبس من (3) سنوات إلى (5) سنوات وبغرامة 250.000 دج إلى 500.000 دج كل من يستعمل تصريحاته أو كتاباته أو أي عمل آخر جراح المأساة الوطنية.
- الترويج للميثاق على الصعيد الدولي والتعريف به، ومواجهة الاعلام الدولي، خصوصا المتبني لأطروحات من؟ يقتل من؟ والتي هدفها اثاره الشك في القانون والتشكيك في قدرة الجزائريين على تجاوز المحنة والتحلي بقيم السلم والتسامح والصفح والعيش السلمي المشترك، لإبقاء الأحقاد والكراهية وأسباب التطرف قائمة.

ثانيا: التجربة العراقية

يلحظ المتتبع للحالة العراقية أن أزمته السياسية وتجلياتها الإعلامية ممتدة إلى ما قبل حرب الخليج الأولى، خلال الحرب مع إيران والتي اتخذت بعدا طائفيا مذهبيا سني/شييعي، وقد انعكس هذا الصراع في الممارسة الإعلامية، حيث وجهت كامل طاقتها الدعائية لتبرير الحرب والدعاية لوجهة النظر الرسمية وشحن المواطن العراقي عاطفيا.

غير أن التحول الكلي كان في 2003 مع هجوم دول التحالف بقيادة أمريكا على العراق واسقاط النظام السياسي، فاتحا الباب بذلك على تجربة أليمة جدا، حيث تنوعت الاجندات وتضاربت المصالح ونمت الجماعات المسلحة الدموية، وعلى رأسها داعش، حيث الكل يحارب الكل وكان الضحية الأولى هو المواطن العراقي، إما قاتلا أو مقتولا أو مسجوناً أو مهجراً، أو مغتصبا في عرضه واملاكه، أو خائفاً على مصيره..

وقد عكست وسائل الاعلام هذه الوضعية المتشردمة أو الفسيفساء المذهبية والعرقية، فهي أما حزبية أو شخصية تتبنى وجهات نظر سياسية أو دينية أو طائفية أو قومية أو مناطقية محددة، وفي أحيان كثيرة تسعى هذه الوسائل إلى تحريف الأخبار وتزييفها والتحويل واختلاق الأكاذيب حول خصومها وتوجيه أقدع الشتائم لهم وبث والإشاعات، وساد خطاب الكراهية في أبغض صوره، خصوصا ذلك الذي كان يستدعي أحداثا تاريخية ليؤسس لسردية يشرعن بها التطرف والعنف والقتل للخصوم، وكان من مألوفات الخطاب الإعلامي مفردات ومصطلحات تنتمي إلى عصر الفتنة الأولى.

ولقد زاد الإعلام الدولي من حدة الشحن الإعلامي، فدول التحالف تقدم سردية إعلامية قائمة على محاربة الإرهاب ونشر الديمقراطية والحرب الاستباقية ضد التهديد الإرهابي الذي يشكله النظام السابق وما يرتبط به ، في مسعى لشرعنة الاحتلال، وتبرير المجازر والانتهاكات الإنسانية الجسيمة التي ارتكبتها جنود ساديون، وكان للإعلام الإقليمي خصوصا الإيراني نصيب أيضا من الخارطة الإعلامية، حيث شجع التطرف المذهبي والتعصب الطائفي، بل ربط الأحداث بثرات تاريخية كانت مؤجلة وحان وقتها؟، إضافة إلى القنوات العربية مثل الجزيرة والعربية والتي كان لها اجندات خاصة بها جميعا، وجهت بها الأحداث ورسمت صورة نمطية كرستها رواية متسقة الى حد بعيد مع أجندة ملاكها وموقفه من الأحداث وتشابك مصالحهم الإقليمية والدولية، لقد حضر في الازمة العراقية كل المفردات إلا مفردة "الحياد" والتهدة والحوار...

وهكذا تُشكّل المشهد الإعلامي العراقي بعد 2003 في بيئة طائفية وسياسية مُتشرذمة، مما جعله أداةً لتعزيز الانقسام المجتمعي، ومن الناحية الإحصائية بلغ عدد الصحف في 2003 قرابة 180 صحيفة، ومجلة وفي 2004 ارتفع العدد إلى 2035 جريدة، أما في 2005 فقد وصل إلى 346 جريدة (نغميش، 2015، صفحة 225). أما عدد الصحفيين الذين قتلوا في الفترة بين 2003 / 2007 فقد بلغ 232، تمت تصفيتهم، ويمكن تصور الخريطة الإعلامية في العراق بعد 2003 على النحو الآتي:

أ- الإعلام الحكومي: وهو الذي تسيطر عليه الحكومة ويكون خطابه موجها لتبرير اختياراتها وسياساتها، والتركيز على فساد النظام السابق، واللافت أن سيطرة الحكومة على الخارطة الإعلامية لم تتعدى مؤسسة شبكة الإعلام العراقي¹⁰، وبعض الصحف الرسمية ووكالة الأنباء

ب- الإعلام الحزبي والطائفي: بعض القنوات الطائفية ركزت على خطاب الكراهية ضد مكونات معينة مثل تصوير السُنة كمتواطئين مع داعش". الخطاب الطائفي الذي استحوذ على عقول العراقيين كان بفعل وتأثير الخطاب السياسي الذي مررته القوى السياسية الطائفية من خلال وسائل إعلامها إلى الجمهور

ج- إعلام الجماعات المسلحة: إعلام داعش المتطرف على استراتيجية اعلامية معده بعناية، تستند على مبادئ ورؤى واضحة وإدارة اعلامية محترفة واليات معقدة لتنفيذ تلك الاستراتيجية، وقد نجح التنظيم من خلال هذه الترسانة الاعلامية الضخمة في استقطاب المقاتلين من مختلف الدول العربية والاجنبية، اذ ركزت تلك الاستراتيجية الاعلامية على الترويج لأفكاره المتطرفة وسعت إلى اقناع افراد المجتمع بها والدفاع عنها، وعملت على خلق صورة ذات تأثير مزدوج قادرة على تحقيق الصدمة والترويع والجذب والارهاب (محمد جاسم، 2023). (مثل مجلة "دابق")، أو اعلام الجماعات السنية المقاومة للاحتلال مثل قناة الزوراء

د- الاعلام الدولي الغربي: اعتمدت قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية على الوسائل الدعائية الناعمة قبل واثناء وبعد احتلال العراق بغية التأثير في معنويات الشعب العراقي والرأي العام العربي والدولي من خلال إظهار الولايات المتحدة نفسها كقوة عسكرية كبرى لا يمكن مواجهتها تعمل على تخليص الشعب العراقي من حكم (النظام الديكتاتوري) كما أسمته، وهي راعية الديموقراطية في العالم (عيد، 2023).

د-الاعلام الدولي الاقليمي العربي: قنوات مدعومة إيرانيًا أو تركيًا أو خليجيًا غطت الأزمة بزاوية مصالح دولها.

يمكن القول أن الاعلام العراقي بعد 2003، شكل الخاصرة الرخوة ، التي تسرب منها خطاب الكراهية والعنف ، واسهمت كثيرا في توسعة الشقة واللحمة بين مكونات الشعب العراقي التي تألف لقرون طويلة جدا، ونتيجة لهذا الوضع تعالت الأصوات المنادية بضرورة تنقية هذه الأجواء وعودة الاعلام إلى جادة الصواب والتزامه بالمبادئ القانونية والأخلاقية ، لتجاوز الازمة ومواجهة خطاب الكراهية وتعزيز مبدأ التعايش السلمي ،وتعتبر منظمة "دعم الإعلام الدولي" من أبرز المنظمات الدولية التي عملت في العراق منذ العام 2008 وساهمت بدعم وتعزيز السلم المجتمعي من خلال مشاريعها المتعددة، من بينها مشروع "منصة الموصل الإعلامية" التي انطلقت عبر الانترنت بعد تحرير الموصل من تنظيم "داعش" بهدف بناء السلم المجتمعي كما. تأسس موقع "نيبرو" للتواصل الاجتماعي فيالعام 2016

بههدفدعمالسلمالمجتمعيونبذالعنصريةوالطائفيةوالابتزازوتعزيزمبادئالسلام، وأيضا "معهد صحافة الحرب والسلام" من أجل دعم المجتمع المدني وتفعيل دوره للمساعدة في إعادة العراق إلى وضعه السليم

ومعالجة الآفاتالمجتمعيةالموجودةقبلداعشوالتياتفاقمتبعذلكمثل النزاعاتالطائفيةوالفتويةوالتوترالقوميوالعراقي.

ومن المبادرات المهمة في هذا الشأن، مؤتمر (ميثاق الإعلام الوطني للتعايش السلمي) برعاية لجنة متابعة وتنفيذ المصالحة الوطنية / مكتب رئيس الوزراء وبالتعاون مع بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق، وبحضور أكثر من 50 مؤسسة إعلامية، بتاريخ 2017/9/23 في العاصمة بغداد، لغرض الاتفاق على ميثاق إعلام وطني يرسخ التعايش ويساهم في صناعة مرحلة الاستقرار السياسي والمجتمعي في العراق. تحت اسم (ميثاق الإعلام الوطني للتعايش السلمي) وكان من مخرجاته:

-المادة 1: الالتزام بالقوانين المرعية، وعدم محاباة الساسة وأصحاب المصالح الخاصة ومراكز النفوذ، ومراعاة حق الجمهور في الحصول على المعلومات، وعدم التمييز بين فئات الجمهور بسبب الدين أو الطائفة أو المذهب أو العرق أو اللغة أو الجنس أو الثقافة أو اللون، واحترام حرية الفكر والمعتقد والتعبير للأفراد والجماعات، وتعزيز المشاركة والتواصل بين المؤسسة الإعلامية والجمهور.

المادة 2: الحفاظ على وحدة الدولة وتماسك المجتمع واستقراره، واحترام التنوع والتعددية، والحرص على نشر قيم التسامح وقبول الآخر، والامتناع عن نشر أية مادة تدعم التطرف أو تشجع على الجريمة أو العنف أو الإرهاب أو خطاب الكراهية، أو تساهم في التحريض الديني أو الطائفي أو الاثني أو المناطقية، أو تساعد على العنف والتمييز ضد المرأة، أو الاتجار بالبشر. وأن يسعى الإعلام إلى نشر قيم السلم الوطني والعالمي، ويساهم في صناعة السلام وخلق مناخات التسوية والمصالحة الوطنية تحقيقاً للأمن والاستقرار والتعايش.

المادة 3: عدم إطلاق الأحكام المسبقة، وتوخي الدقة والوضوح في المصطلحات والتعابير المستخدمة في التغطية الصحفية، والامتناع عن استخدام المصطلحات الدالة على الهويات الدينية والقومية والطائفية في مجال التوصيف والتصنيف السياسي، واحترام الخصوصية الفردية والدينية والقومية والمذهبية والاثنية لمواطني الدولة، وعدم إلحاق الضرر بالأفراد أو المؤسسات جراء النشر الصحفي، واحترام رغباتهم أو رغبة ذويهم في عدم الإفصاح عن أسمائهم أو عناوينهم لأسباب معنوية أو أمنية.

المادة 4: عدم استغلال الوضع الاجتماعي والإنساني والاقتصادي في مناطق التغطية، والامتناع عن نشر الصور ومقاطع الفيديو التي تسيء إلى حرمة وكرامة الضحايا (موتى أو جرحى) أو الصور والمقاطع التي قد تسبب خطراً على الضحايا كضحايا العنف الجنسي أثناء النزاعات المسلحة(دريد ، 2019، الصفحات . 787-798).

ثالثاً: التجربة الليبية

تختلف التجربة الليبية عن التجربة الجزائرية والعراقية، في ظروفها الزمنية وملابساتها الجيوستراتيجية، فالأحداث الليبية أتت في سياق ما عرف "بثورات الربيع العربي" التي استهدفت أنظمة عربية بدأت من تونس ثم مصر ثم ليبيا، وعلى إثر تدخل سافر من حلف الناتو Organisation du traité de l'Atlantique nord، سقط النظام الليبي ودخلت البلاد نفق الاقتتال الداخلي والفتنة ومشتقاتها، مما لم يألفه الشعب الليبي، لربما تكون المرة الأولى في تاريخها الذي تشهد فيه انقساماً حاداً هدد بتقسيمها وتحويلها إلى مستنقع لحرب أهلية طاحنة.

ولم يكن الاعلام بعيدا عن هذه المعركة، والملاحظة المثيرة للانتباه أن اللاعب الأساسي فيها بداية كان الاعلام الدولي الغربي والعربي، الذي سوق لدعاية " اسقاط الدكتاتورية " و " حماية الشعب الليبي من عنف ووحشية النظام " وأشاع اخبارا مزيفة عن "مجازر" يكون النظام قد ارتكبها، كما فبركت

بعض القنوات العربية أخبارا عن الاغتصاب¹¹ و نقل مشاهدا لمسيراتمناهضة في مناطق مختلفة، بعض للأسف كان لدول أخرى، وتم تضخيم مظاهر الانفلات الأمني، وهو ما أشاع جوا من الخوف والاضطراب والكراهية وزاد من الجنوح إلى العنف، ويمكن القول أن ماحدث في ليبيا من الناحية الإعلامية كانت حروبا داخل استوديوهات القنوات الدولية ، التي شكلت الغطاء والمبرر الأخلاقي للحرب على ليبيا.

وعلميا تحولت المنظومة الإعلامية في ليبيا، المتشكلة بعد سقوط النظام-على قدر ما بها من «هشاشة»-،الى ساحة حرب ودعاية سوداء تحت تأثير الانقسامات السياسية والاستقطاب الحاد للقوى الجديدة، تجاوزت المهنية إلى التحريض، و الشتماتو التجريح ونشر خطاب الكراهية، يقول الصحفي والإعلامي الليبي عيسى عبد القيوم، في حديثه لـ«الشرق الأوسط» إلى أنه «بعد (ثورة) 17 فبراير (شباط) عام 2011، ظهرت الحرية، وغابت المهنية.»(جوهر، 22 يوليو 2019)

ويضاف إلى ذلك دخول اعلام شبكات التواصل الاجتماعي، والتي شكلت منافذ جديدة للتأثير والاخبار المنفلت من أي قيود مهنية، كان لها تأثير بالغ نشر الاخبار المزيفة والتظليل،وجد خطاب الكراهية رواجا كبيرا وخطيرا في عدد من وسائل الإعلام والمواقع الإلكترونية، وصفحات «فيسبوك» و«تويتر»، كانت له نتائج وخيمة في تعقيد الأزمة الليبية، وفي استمرار أعمال العنف والتأثر وتصفية الحسابات، إلى جانب الاصطفاف السياسي والجهوي والمناطقى، بل وصل الضرر إلى مستوى العائلات والأفراد (بوابة الوسط ، 2019)

واللافت أن الكثير من القنوات الإعلامية الدولية استندت إليها في تغطيتها للأحداث تحت مسمى "مصدر لم يتم التثبت منه"، وللأسف فقد كان التفافا خبيثا على قيود المصداقية والموضوعية، أدى الى زرع البلبلة والشك والاضطراب.

وفي المحصلة فإن الاعلام الليبي يرتبط ارتباطا وثيقا بالتقلبات السياسية والتحيزات الايدولوجية ولوبيات المال والمصالح،ويعكس طبيعة الانقسام السياسي والعسكري، وقد حوله ذلكإلى أداة قتالية ذخيرتها الأساسية، خطاب الكراهية، والتمييز والتظليل والأخبار الكاذبة، وتزييف الحقائق والتلاعب بالصورة، وانعكس ذلك في عدم الاستقرار الاجتماعي وزيادة حالات الاعتداء المسلح وهشاشة السلم الاجتماعي.

وقد رصد المركز الليبي لحرية الاعلام في تقريره لعام 2017، 46 اعتداء طال صحفيين ووسائل اعلام، و82 نزوج قسري لإعلاميين نتيجة تهديدات امنية(المركز الليبي ، 2020).وقد انطلق هذا التقرير من هدف الوقوف على ثقافة الحقد والكراهية، والإقصاء التي أسهمت في تأجيج وتغذية العنف، والتحريض التي شنتها بعض القنوات الفضائية الليبية ضد بعض الجهات من خلال الاتهام والتخوين(الهنشير ، 2018).

وتماشيا مع المحاولات السياسية للتهدة والعودة إلى السلم والامن وإيجاد الحلول السياسية المناسبة، من طرف الفرقاء الليبيين، وجدت الكثير من المبادرات المهنية والحكومية من أجل تنظيم قطاع الإعلام ووضع حد للفوضى والانفلات في الممارسات الإعلامية، لذا صدر القرار رقم 752 لسنة 2021 م القاضي بإنشاء الهيئة العامة لرصد المحتوى الإعلامي¹²

تختص الهيئة برصد وتتبع المخالفات المهنية للخطاب الإعلامي، ولها على وجه الخصوص ما يلي:

1. متابعة خطاب الكراهية بكافة أشكاله والأخبار الزائفة والتضليل الإعلامي بوسائل الإعلام التي تستهدف ليبيا بالداخل والخارج.

2. للهيئة اتخاذ كافة التدابير القانونية اللازمة ضد القنوات المرئية والمسموعة المخالفة بالتنسيق مع الجهات المحلية والدولية ذات العلاقة، سواء برفع دعاوى أو مخاطبة لجنة العقوبات بمجلس الأمن بالتنسيق مع وزارة الخارجية والتعاون الدولي.

3. وضع اللوائح الخاصة بالإجراءات التي تسلط على وسائل الإعلام المخالفة، من تنبيه وتحذير وإيقاف برامج إلى سحب الترخيص أو إذن المزاولة وغيره.

4. إعداد قاموس المفردات خطاب الكراهية وتحديثه، وتعميمه على وسائل الإعلام المختلفة.

5. إقامة الدورات وورش العمل للتوعية بأخلاقيات الصحافة.

- دعت النقابة العامة للإعلاميين إلى حماية الصحفيين ووضع ميثاق شرف مهني، لكن تأثيرها محدود بسبب الانقسامات.

-مركز ليبيا لحرية الصحافة: ينظم ورش عمل حول أخلاقيات المهنة ويوثق انتهاكات حرية الإعلام.

-مبادرات التحقق من المعلومات: مثل "تفاؤل" و"ليبيا تشيك"، لمكافحة الأخبار الكاذبة عبر منصات التواصل.

كما رعت الأمم المتحدة لقاء جمع ثلاثون من الصحفيين والإعلاميين والناشطين المؤثرين على شبكات التواصل الاجتماعي وفي المجتمع المدني أصدروا 16 توصية لمجابهة تأثيرات التضليل الإعلامي، وترويج الشائعات، للحفاظ على النسيج الاجتماعي (الأمم المتحدة، 2019)

8- خلاصات مستخلصة من التجارب الاعلامية للدول الثلاثة

أ- صعوبة تطبيق مبدأ "الحياد والموضوعية" في حالة الأزمات السياسية، فقد يعتبر في اللحظات الحرجة خيانة، يدفع ثمنها الصحفي عاجلاً أو آجلاً، وهو ما كلف المئات من الصحفيين أرواحهم وأرواح أسرهم في الدول الثلاثة، ومع ذلك فإن الكثير من الإعلاميين الوطنيين انحازوا لصف الوطن في وجه المؤامرات الدولية، التي استوعبوها بشكل دقيق وعميق، وشكلوا أصواتاً حرة في وجه قوى الظلام، رغم أن الثمن كان باهظاً كما في الحالة الجزائرية.

ب- تختلف التجربة الجزائرية إعلامياً عن الدولتين بكونها وقعت في وقت أبكر نسبياً (التسعينات)، فلا وجود لشبكات التواصل الاجتماعي، وتأثير الإعلام الدولي محدود نسبياً، باستثناء الإعلام الفرنسي الذي كان بوابة العالم لمعرفة ما يدور في الجزائر، لكنه حاول الاستثمار في الازمة وتحقيق مكاسب من خلال دعايته الإعلامية المشهورة: من؟ يقتل من؟ في تشكيك واضح لدور الأجهزة الأمنية في حماية البلاد، ومع ذلك فإن الوضع سمح للدولة بالسيطرة على الاعلام والمعلومة ومكنها من فرض سردية واحدة رسمية موجهة للرأي العام الداخلي والخارجي، وهي الحرب على الإرهاب وكل ما زاد عنه فهو خارج النص، ثم تعبئة الإعلام المحلي من أجل إنجاح مسعى السلم والمصالحة وإحلال السلام والاستقرار وإنهاء فصل مأساوي من حياة الجزائريين.

ت- شكل تدخل الإعلام الدولي العربي والغربي واحداً من مصادر التوتر والتضليل والتزييف في التجربة العراقية والليبية، فكثير من القنوات تعتمد مصادر مجهولة وغير مثبتة منها، لكنها تمررها تحت مسمى مصدر لم يتم التحقق منه، رغم الكلفة الأمنية والبشرية، وكان واضحاً "التحيز الكبير" لكل وسيلة إعلامية على حسب مصالح ملاكها، ولذا أصبح من العادي نشر الاخبار الزائفة والكاذبة *Fake news*

ث- السمة الغالبة على سرديات ومضامين وسائل الاعلام المتفاعلة مع الأحداث في الدول الثلاث هو سيادة خطاب "الكراهية" كمحرض نفسي وشاحن معنوي قادر على تبرير العنف والقتل واستباحة

الدماء، وانتهاك الحرمات والخصوصيات الأعراض، وتوجيه التهم الباطلة مما أسهم في تفكك وأصر المجتمع وانهيار قيم التعايش والأخوة التي عرفت هذه المجتمعات لقرون ج- بالرغم من الصعوبات والتحديات التي واجهت الإعلاميين في الدول الثلاثة إلا أن صوت الضمير الوطني والمهني دفع بالكثير منهم إلى تبني سياسات المصالحة الوطنية وعمل تهيئة النفوس والراي العام لقبولها، وساعد كثير في تجاوز المحنة، وهياً الأجواء للمصالحات الوطنية والعودة إلى قيم التعايش السلمي والوفاق الوطني، ونبذ العنف والتطرف ومحاربة خطاب الكراهية.

الخاتمة

مرت الدول العربية الثلاثة الجزائر العراق ليبيا، بظروف امنية استثنائية، ولئن تباين ظروف كل دولة زمنيا وجيوستراتيجيا، فإن العنوان الأبرز والجامع المشترك بينهم هو، الاقتتال الداخلي والانقسام الحاد، وسع منه التدخل الدولي الذي جعل مصالحه فوق كل اعتبار، وساهم بشكل أو بآخر في رفع منسوب العنف والتطرف إما في شكل تدخل مباشر أو تغذية الأطراف المتصارعة وتشجيعها بالمال والسلاح.

ولم يكن الاعلام بعيدا عن هذه التوترات بل شكل رأس حربة قفيها، وكان الكشف الأول والفتيل الأمثل لتفجير الأوضاع، متخليا بذلك مقتضيات الموضوعية والنزاهة واخلاقيات المهنة، لينخرط في حملات الكراهية والتظليل والتزييف والتحريف والاختلاق، وزاد الإعلام الدولي القوي من تعقيد الازمة من خلال التغطيات المتحيزة وتفعيل الأجندات الإعلامية على حساب الحقيقة.

لقد دفعت شعوب هذه الدول اثمانا باهظة،مئات الاف من القتلى والمفقودين والأسرى وضحايا العنف والاعتصاب والتهجير القسري والاختطاف، وعدم الاستقرار وشيوع الخوف الذي دفع بالآلاف إلى الهجرة الخارجية، إضافة إلى ذلك الخسائر الاقتصادية والمالية، والتخلف التكنولوجي وتحطيم البينات الأساسية والخدمية للمجتمع.

لقد دفعت هذه الحالة الكثير من الوطنيين والحكومات إلى تبني نهج المصالحة الوطنية وإرساء دعائم التعايش السلمي بين مكونات المجتمع المختلفة، على قاعدة الاحترام والحوار وقبول الآخر والمشاركة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، ووجهت وسائل الإعلام إلى نبذ خطاب الكراهية وتبني خطاب التسامح والموضوعية وتجنب الاثارة والوصمية بما يهيئ الرأي العام لقبول المصالحة الوطنية وتهذبة الخواطر والنفوس.

المصادر والمراجع

1. Marshall Herber McLuhan .(1964) ., *Understanding Media - The Extensions of Man*. New York.
2. احمد عيد. (2023). استخدام الدعاية السياسية كأداة في الحرب على العراق قبل وبعد ٢٠٠٣. العراق . تم الاسترداد من <https://rasammerkezi.com/studies-and-research/8286>
3. الامم المتحدة . (2019). *جهود إعلامية ليبية جديدة لمجابهة خطاب الكراهية والتحريض والتضليل*. تم الاسترداد من <https://news.un.org/ar/story/2019/09/1039582>
4. المركز الليبي . (2020). *الاعلام الليبي رهينة الاحتدام العسكري*. المركز الليبي لحرية الصحافة والاعلام. تم الاسترداد من <https://lcfp.org.ly/project/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A-%D8%B1%D9%87%D9%8A%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AD%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1>
5. بوابة الوسط . (2019). *دعوات متصاعدة لوقف «خطاب الكراهية» ونبذ التحريض*. بوابة الوسط. تم الاسترداد من <https://alwasat.ly/news/libya/263307>
6. جمال جوهر. (22 يوليو 2019). *الإعلام الليبي... حروب من داخل الاستوديو*. صحيفة الشرق الاوسط. تم الاسترداد من <https://aawsat.com/home/article/1823166/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8>

%.A7%.D9%.85-%.D8%.A7%.D9%.84%.D9%.84%.D9%.8A%.D8%.A8%.D9%.8A-

%.D8%.AD%.D8%.B1%.D9%.88%.D8%.A8-%.D9%.85%.D9%.86-%.D8%.AF%.D8%.A7%.D8%.AE%.D9%.84-

%.D8%.A7%.D9%.84%.D8%.A7%.D8%.B3%.D8%.AA%.D9%.88%.D8%.AF%.D9%.8A%.D9%.88

7. جمال قوعيش. (2014). مقاربات الاعلام المعاصرة قراءة في الاسس والمنطلقات. مجلة العلوم الاجتماعية، 8(1)، 78.

8. خليفة ابراهيم خالد الهنشير . (2018). الاوضاع السياسية وانعكاساتها على الاعلام الليبي دراسة وصفية بعد عام 2011. استراتيجيات الاعلام في ظل التحولات المجتمعية الراهنة للمجتمع الليبي والعربي . جامعة سرت .

9. شريهان محمود دريد . (2019). دريد شرهان محمود، دور وسائل الاعلام في نشر ثقافة التعايش السلمي في العراقي في مرحلة مابعد داعش.، المجلة السياسية و الدولية (41-42)، ص ص. 787-798.

10. عثمان التويجري . (1998). الحوار من اجل التعايش. (1، المحرر) القاهرة : داغر الشروق.

11. فهمي مصطفى حسين . (1996). التعايش السلمي ومصير البشرية 1996. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

12. محمد طه محمد جاسم. (2023). دور الاعلام الامني في مواجهة استراتيجيات داعش الاعلامية: رؤية استراتيجية. المعهد (13). doi:: <https://doi.org/10.61353/ma.0130463>

13. محمود دريد شدهان . (2019). دور وسائل الاعلام في نشر ثقافة التعايش السلمي في العراق لمرحلة ما بعد داعش. المجلة السياسية و الدولية (41-42)، 794.

14. ممدوح الروحاني . (2022). المواطنة الايجابية في موسوعة التعايش والتعارف في الاسلام مفاهيم ميسرة. منظمة التعاون الاسلامي.

15. نزهة حنون. (2008). الاساليب الاقناعية في الصحافة المكتوبة الجزائرية ميثاق السلم والمصالحة نموذجا. تم الاسترداد من <https://bu.umc.edu.dz/theses/sc-information/AHAN2428.pdf>

16. هاشم احمد لحمامي نغميش . (2015). واقع الاعلام العراقي بعد احتلال العراق في التاسع من نيسان 2003م دراسة وصفية للقوانين. //التراث، 5(4)، 225. تم الاسترداد من <https://asjp.cerist.dz/en/article/112227>

الهوامش

¹- بعد صدور تقرير لجنة هانشيز StilsonHutchins رئيس جامعة شيكاغو التي ضمت أكاديميين واعلاميين ومؤرخين ومفكرين أثال هارولد لاسويل، شلزنغر، شافبي، نتج عنه مؤلف جماعي 1956 النظريات الأربع في الصحافة four théories of the presse من انجاز سبيرت FRED S. SIEBERT، بترسون THEODORE PETERSON وشرام WILBUR SCHRAM

²- ظهرت هذه النظرية أول الامر في إنجلترا ق16م أصل فكرتها أن الشعب غير جدير أن يتحمل المسؤولية، ولذا توكل المهمة الى السلطة الحاكمة التي تتخذ ما تراه مناسباً من القرارات، ثم انتقلت الى حقل الممارسة الإعلامية حيث الدولة تملك وسائل الاعلام وتحدد لها ما يجب قوله او نشره او اذاعته.

³- انبثقا هذه النظرية عن لجنة هاتشنز StilsonHutchins المتأثرة بجو التقييد الإعلامي للحرب العالمية الثانية وما اعقبه من تمركز وسائل الاعلام في ايدي شركات محدودة مع ما يترتب على ذلك التمرکز من نمو لمراكز قوة جديدة تمارس ضغطها وتفرض اجندتها السياسية والثقافية والأيدولوجية

³- ظهرت هذه النظرية في أمريكا واروبا كرد فعل من قبل ملاك وسائل الاعلام أمثال هنري لوس مالك مجلات التايم، ولايف وفورتن، على تدخل الدولة في القطاع من خلال سن القوانين تحد من الاحتكار وتأثر هذا التدخل على حرية الصحافة بالمفهوم الليبرالي، وبالمناسبة فقد ندد ملاك وسائل الاعلام بما ذهبت اليه لجنة هانشيز .

⁵- إعلان بشأن المبادئ الأساسية الخاصة بإسهام وسائل الاعلام في دعم السلام والتفاهم الدولي وتعزيز حقوق الانسان ومكافحة العنصرية والفصل العنصري والتحريض على الحرب، المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، الدورة 20، 28 نوفمبر 1978

⁶- ميثاق جدة للمسؤولية الإعلامية، رابطة العالم الإسلامي <https://themwl.org/ar/role-of-media-in-inciting-hatred-and-violence>

⁷- مارشال ماكلوهان, Herbert Marshall McLuhan (21 يوليو 1911 - 31 ديسمبر 1980) أستاذ وفيلسوف وكاتب كندي أحدثت نظرياته في وسائل الاتصال الجماهيري جدلاً كبيراً، فهو يرى أن أجهزة الاتصال الإلكترونية خاصة التلفاز تسيطر على حياة الشعوب وتؤثر على أفكارها ومؤسساتها.

⁸- الأمر رقم 06-01 المؤرخ في 27 فبراير سنة 2006 يتضمن تنفيذ ميثاق السلم والمصالحة الوطنية. هذا الميثاق تم الاستفتاء عليه في 29 سبتمبر 2005 وحصل على موافقة بنسبة 97٪، وتم تنفيذه كقانون في 28 فبراير 2006.

⁹- تقرير أعده المحامي مروان عزي الرئيس السابق لخلية المساعدة القضائية لتطبيق ميثاق السلم والمصالحة الوطنية، وسلمه للرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة

- ¹⁰ - شبكة الإعلام العراقي هي مؤسسة إعلامية حكومية رسمية تمثل الخطاب الحكومي وتعكس توجهات الدولة العراقية في المجال الإعلامي، وتعد الامتداد الحديث لوزارة الإعلام. أنشئت بموجب القرار رقم 06 حزيران 2003
- ¹¹* قصة إيمان العبيدي التي تداولتها وسائل الإعلام عام 2011، عندما حكت لصحفيين في مدينة طرابلس، كيف قام رجال من قوات القذافي باغتصابها بسبب مشاركتها في الاحتجاجات ضد النظام، مُظهرة في مؤتمر صحفي جراحا وندوبا قالت إنها ناتجة عن الاغتصاب. في العام ذاته. واتهمت وزيرة الخارجية الأمريكية سابقا، هيلاري كلينتون، نظام القذافي باستخدام الاغتصاب أداة حرب.
- ¹² --مجلس الوزراء الليبي قرار رقم 752 لسنة 2021 م بإنشاء الهيئة العامة لرصد المحتوى الإعلامي 23 ديسمبر 2021
<https://ls.org.ly/63s9>